

"الأمن في خضمّ الانحلال"
تحديات ضمان استمرارية الترتيبات الأمنية في الشرق الأوسط
وسط واقع انحلال النظام الإقليمي وعملية التفكك التي يشهدها

الجمعة والسبت ٢٥ - ٢٦ أيار/مايو، ٢٠١٨
بيت المستقبل، بكفيا

الرئيس أمين الجميل

أهلاً وسهلاً بكم في "بيت المستقبل" في بكفيا نجري معاً كما كل عام مسحاً واقعياً لشؤون المنطقة وشجونها،

اهلاً بكم الاصدقاء المقيمين كما الاصدقاء الوافدين من كل أنحاء العالم لاستشراف آفاق المرحلة المقبلة بكل آلامها وآمالها.

أهلاً بدولة الرئيس فؤاد السنيورة صاحب الباع الوطني الطويل، والممارسة السياسية الراسخة. ندوتنا هي بالشراكة مع مؤسسة كونراد اديناور، وجامعة تافت الاميركية (مركز عصام فارس)، وجامعة كيبك في مونتريال (مركز Raoul Dandurand راوول داندوران) وبلدية بكفيا - المحيثة.

نلتقي كما درجت العادة في هذه المساحة، مساحة الحوار الحرّ المجرد التي يجسدها "بيت المستقبل". نمارس التمرين الذهني حول المسائل المعاصرة المتواجدة على هذا الصفيح الساخن الذي استقطب قوى اقليمية ودولية تنازعت فيه وعليه.

منذ عامين، عالج مؤتمرنا السنوي أمر "النظام الجديد للشرق الأوسط بعد مئة عام على اتفاقية سايكس - بيكو" التي زعم، في حينه، انها تقيم نظاماً عادلاً وأمناً في المنطقة.

والعام الماضي، ناقشنا "التدخلات الخارجية ومنظومة الدول في الشرق العربي": "التحديات، الاصطفافات، التوقعات"، وخلص المؤتمر الى التحذير من الطموحات الفاجرة التي تلامس حد الاطماع.

واليوم نلتقي في خضم حالة الانحلال التي طالت أكثر من صعيد وتأثيرات هذا التفكك على أمن المنطقة واستقرارها، وكأن عالماً العربي لم يتغير من عام الى عام، من عقد الى عقد، بل ينحدر من السوء الى الأسوأ:

- نزاعات تحولت الى معارك عبثية وانتحارية دمرت البشر والحجر.

- نزاعات سياسية في الاقليم لم توفر أي جانب من حياة المجتمع، ولم تقتصر على النزاعات السياسية بين الانظمة، بل استهدفت بشكل اساسي المجتمع والانسان في وجوده وحرياته وسلامته ورفاهيته. فكانت نزاعات سياسية وإقليمية: عربية عربية، وعربية ايرانية، وعربية اسرائيلية، واسرائيلية ايرانية، ودولية إقليمية.

إزاء هذا الواقع المتفكّلت، وضع الكبار إقليمياً ودولياً يدهم على جزءٍ من المشكلة، وتورّطوا فيها، وانغمسوا في رمال الارض المتحرّكة، فحضرُوا عدداً وعتاداً، برأً وبحراً وجواً، ومخابرتياً، بحجّة المساهمة في الحل. أمّا في الواقع، تفاقم الوضع من مشكلة الى أزمة بدل أن ينحو الى برّ الأمان. فكانت:

- صواريخ روسية على مواقع المعارضة السورية.
- صواريخ اميركية على مواقع النظام المشبوهة.
- صواريخ اسرائيلية على مواقع ايرانية في سوريا.
- صواريخ ايرانية حيث تدعو الحاجة.
- صواريخ بالسنتية من اليمن على السعودية.
- اسلحة كيماوية سورية على المدنيين.
- غارات اسرائيلية على غزة بحجة حماية القدس. يضاف الى هذا المشهد المأزوم، تداعيات القرار الاميركي بنقل السفارة الأميركية من تل أبيب الى القدس وما يمثل هذا الاجراء من تحد للمشاعر الفلسطينية والعربية، المسيحية والاسلامية.

كل هذا التصعيد هل ينتهي وكيف؟

- هل ينتهي على طريقة "إشنتدي أزمة تنفجري"؟ أم ينتهي على طريقة لا غالب ولا مغلوب؟ أو تبويس لحي وعفى الله عما مضى؟ لكن مهلاً، ماذا عن مئات ألوف الضحايا؟ ومشاعر الناس؟ وطموحات الشعوب؟ ما هو جدوى كل هذا الخراب والدمار؟ وهل المطلوب تجهيل الفاعل وتبديد المسؤوليات؟
- هل نحن امام أزمة مفتوحة، وأمنٌ مفقود، وإنحلالٌ سياسي، وتفكُّكٌ جغرافي-ديموغرافي؟
- وهل نحن أمام انفجار أم إنفراج؟ وهل الانفراج يحصل بقوة السلاح ام بفعل الدبلوماسية؟
- أي جهة دولية ستبادر لإرساء أمن المنطقة الذي يجب أن يقوم على الحق والعدل وطمأنينة الشعوب؟ ودون هذه الثلاثية، لا أمنٌ على الاطلاق، او أمنٌ هش ومستعار. لا يدوم !
- وهل أي من جهة دولية جاهزة أو قادرة أن تفرض السلام الحقيقي القائم على الحق والعدل والطمأنينة؟ أمّا الخشية هي من سلامٍ مزعوم من نوعٍ آخر؟

فالسّلام بقوة السلاح على حساب الحق والعدل هو إستسلامٌ للقدر. السّلام بالمدفع هو تسليم بالأمر الواقع، فإمّا قبول ورضوخ، وإما هجرةٌ قسرية وهذا لا يؤسّس لإستقرار دائم. لا بل بالعكس.

إن الادعاء بهذا النوع من السّلام هو على طريقة انتصارات القيصر، التي قيل فيها "إنه فرَضَ الصمت وادعى انه السّلام"؟

« Il a imposé le silence et il a appelé ceci la paix »

في المنطقة بدءاً من لبنان، بقدر ما ننجح في بناء السّلام المسند الى الحق والعدل والطمأنينة، بقدر ما سيكون هذا المنتج صالحاً لأرساء الامن والسّلام المنشود لصالح الأمم والشعوب. ولا أمنٌ دائماً ولا استقرارٌ ثابتاً ولا سلامٌ حقيقياً الا على أساس ثلاثية الحق والعدل والطمأنينة.

وفي لبنان، الرهان اليوم هو على تثبيت الإنجازات السياسية على علاقتها، بدءاً بانتخاب رئيس للجمهورية رغم فضيحة الفراغ ومدلولاتها،

ثم إجراء الانتخابات النيابية رغم ثغرات القانون وبعض التجاوزات.

كما تثبيت للأمن والإستقرار النسبي السائد على معظم الأراضي اللبنانية. يبقى علينا التركيز على إقامة حوكمة رشيدة، تعالج مشاكلنا البنوية، وتضع حداً للفساد والهدر في مفاصل الدولة. وأن يترافق كل ذلك مع تحقيق السيادة الكاملة الغير مجتزأة وغير منقوصة على كل التراب الوطني، سيادة وفق منطوق القانون الدولي والدستور اللبناني والميثاق الوطني!

ولا بد هنا من التوقف عند المبادرات الدولية المشكورة للبنان لما تؤمنه من مظلة حامية سياسياً وأمنياً ومالياً، الا ان هذه المبادرات تبقى قاصرة ما لم تحصن بمنظومة اجرائية من سيادة القانون وحصرية السلاح وتحييد لبنان عن حرائق الجوار، والا عبثاً البناء على رمال متحركة. وكلنا يذكر بأسى الإطباق على معالم الانماء وتدمير البنى التحتية في غير منطقة من لبنان على خلفية حرب تموز ٢٠٠٦.

هذا الحمل هل ستتوء تحته الحكومة الجديدة؟ ام ستنهض به، بالامن، بالسلام، بالإقتصاد، بالعدالة الإجتماعية، إنطلاقاً من ثلاثية: الحق والعدل والطمأنينة لكل مكونات المجتمع اللبناني؟

على وقع هذه التساؤلات أضع تحت مجهر السادة المنتدين، محاورَ هذا المؤتمر حول "الامن في خضم الانحلال، تحديات وضمان واستمرارية الترتيبات الامنية في الشرق الاوسط وسط واقع انحلال النظام الاقليمي وعملية التفكك التي يشهدها."

فلنترك لكم المقاربة، أنتم أهل الاختصاص في علم السياسة والديبلوماسية والابحاث الاكاديمية والجيوسياسية. المطلوب رسم خارطة طريق تساهم في إرساء السلام بعد كل هذا المخاض الطويل من العذاب والاضطهاد والتعسف.

إن هذا المؤتمر مؤهل بما يملك من قدرات، للبحث في المشكلة الاقليمية من مختلف زواياها:

- لجهة ظاهرة التفتت التي أمت بالمنطقة وتداعياتها على انهيار الحدود الوطنية وقيام الميليشيات المذهبية والاثنية والتأسيس لقيام الدول الفاشلة.
- كما لجهة مقاربة الادوار لكل من اللاعبين الاقليميين والدوليين.

إننا ننشد معاً الانتقال من حالة الانحلال المفتوح الى الحل المستدام، ومن التفكك الكياني الى التحقق الوجودي.

إنه الفعلُ الاكاديمي لوقف الانفعال العبثي الانتحاري على كل الصعد في لبنان والمنطقة .

فأهلاً وسهلاً